© ٢٠١٩ مركز بحوث القرآن
جامعة ملايا، ماليزيا

قرآنيكا، مجلة عالمية لبحوث القرآن
عدد خاص(٣)، يونيو، حزيران ٢٠١٩م، ص٨٥-١١٠

الطرق المنحرفة في التفسير وأثرها في تفريق الأمّة الإسلامية(*)

د. باي زكوب عبد العالي،[١]

د. يوسف محمد عبده محمد العواضي،[٢] د. ياسر محمد عبد الرحمن طرشاني[٣]

(The Deviant Quranic Interpretations and Their Impact on the Division of the Islamic Ummah)

ABSTRACT

The purpose of this research is to clarify the deviant ways in interpreting the Noble Qur'an and its effect on the nation. The problem of research is the use of many of the people of the difference in interpreting the Quranic verses in supporting their doctrines and beliefs, turned it from the meaning of the apparent, to the meaning of their desires and beliefs, as well as deal with the verses of the Qur'an to the texts and meanings in response to the violators, and atonement, and here the expansion of the difference between Muslims and some communities to disbelieve others, and called to fight On the one hand, and on the other hand, we find that the innovator falsificate the meaning of the Noble Qur'an, by entering their point of wrong views, calling for facilitation, evangelization, and keeping pace with the reality imposed by the West. The importance of research is highlighted in the statement of deviant ways of interpretation which are: The method of the Historian in the interpretation, the medthod of Mu'tazilah in the interpretation, the method of the Shiism in the interpretation, the method of mysticism philosophical in the interpretation, the method of the claim renewal in the interpretation, and these deviant ways affected the understanding of Muslims to the Qur'an, and many Dismissed differences and deviations in the interpretation of the Qur'an lead to the destruction of religion as the Qur'an is the first source of Muslims, and the preservation of religion is the first purpose of the purposes of Islamic law, and these interpretations lead to a misunderstanding of the Quranic orders that contradict the intent of the street, The methodology of research is analytical inductive in clarifying the deviant methods and indicating their negative impact on the nation. The most important results: The emergence of these deviant methods in the interpretation opened to the Muslims a great division and corruption, the effects of which remain to the present day.

Keywords: *Methods, Deviation interpretation, Qur'an, Tafsīr, Qur'ān, purposes of Islamic law.*

(*) This article was submitted on: 6/08/2018 and accepted for publication on: 10/02/2019.

١ أستاذ القرآن وعلومه المساعد بكليّة العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية –ماليزيا، beyzekoub@yahoo.fr

٢ أستاذ القرآن وعلومه المشارك بكليّة العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية –ماليزيا.

٣ أستاذ الفقه وأصوله المشارك بكليّة العلوم الإسلامية جامعة المدينة العالمية –ماليزيا.

ملخص

يهدف هذا البحث لتوضيح الطرق المنحرفة في تفسير القرآن الكريم وتأثير ذلك في تفريق الأمة، وتكمن مشكلة البحث في استخدام كثير من أهل الفِرَق تأويل الآيات القرآنية في نصرة مذاهبهم ومعتقداتهم، والتشنيع على مخالفيهم، وتضليلهم، وتفسيقهم، فالآيات التي تؤيد معتقداتهم ولو بالظاهر يتمسكون بها، وما خالفهم أولوها وحرفوها، وحولوها من معناها الظاهر، إلى معنى يوافق أهواءهم، ومعتقداتهم، وكذلك تعاملوا مع الآيات القرآنية ليأ لنصوصها ومعانيها في الرد على مخالفيهم، وتكفيرهم، ومن هنا توسع الاختلاف بين المسلمين وصارت بعض الطوائف تكفر الأخرى، وتدعوا لقتالها هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد أن مدّعي التجديد يؤوّلون القرآن الكريم على غير تأويله، فيدخلون فيه وجهة نظرهم، مدّعين في ذلك التيسير، والتبشير، ومسايرة الواقع الذي يفرضه الغرب. وتبرز أهمية البحث في بيان الطرق المنحرفة في التفسير: وهي طريقة الإخباريين والقصاص في التفسير، طريقة المعتزلة في التفسير، طريقة الشيعة في التفسير، طريقة الصوفية الفلسفية في التفسير، طريقة مدّعي التجديد في التفسير، وهذه الطرق المنحرفة أثرت في فهم المسلمين لكتاب ربهم، وكثرة الاختلافات المذمومة والانحرافات في تفسير القرآن تؤدي إلى هدم الدين باعتبار القرآن الكريم هو المصدر الأول للمسلمين، وحفظ الدين هو المقصد الأول من مقاصد الشريعة الإسلامية، كما أن هذه التفاسير المنحرفة تؤدي إلى فهم خاطئ للأوامر القرآنية والتي تتنافي مع مقصود الشارع، وقد اعتمد البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي في توضيح الطرق المنحرفة وبيان تأثيرها السلبي على الأمة، ومن أهم النتائج: أنّ ظهور هذه الطرق المنحرفة في التفسير فتح على المسلمين باب فرقة وفساد عظيم ما زالت آثاره باقية إلى يومنا الحاضر.

كلمات دالَّة: تفريق، تفسير طرقي، قرآن، مقاصد شريعة.

١– مقدمة

لقد جرى التفسير منذ زمن النبوة إلى زمن أتباع التابعين على طريقة نجزم فيها أنها كانت صحيحة موافقة لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وذلك بسبب قرب زمن النبوة ووعي الناس بدينهم، وتمرّ السنوات تلو السنوات إلى أن افتتنت الأمّة في دينها، وافترقت إلى فرق وأحزاب متعددة، وظهرت المذاهب الدينية المتنوعة، ووُجِدَ من العلماء من يحاول نصرة مذهبه والدفاع عن عقيدته بكل وسيلة وحيلة، وكان القرآن هو مقصودهم الأول الذي يرجعون إليه لعلمهم أنّ له مكانة كبرى في قلوب المسلمين وأنه هو المرجع الأول والأساس في حلّ أي نزاع، ومن هنا قام هؤلاء العلماء يفسرون القرآن عن طريقة إخضاع معانيه لمذاهبهم مهما كان الأمر. وحقيقة فإن هذا التديّ والانحراف في تفسير كتاب الله عز وجل في تلك الفترة وإلى يومنا هذا راجع إلى أن الناس كلما بعدوا عن عصر النبوة ازدادت نواحي الغموض في التفسير. إذن فسلوك منهج السلف في التفسير هو العاصم الوحيد من الزيغ والزلل في القول على الله ما لم ينزل به سلطاناً.

فالإخباريون والقصاص –مثل: علاء الدين أبو الحسن المعروف بالخازن (ت ٧٤١هـ) في كتابه **"لباب التأويل في معاني التنزيل"**[١]**–** يسترسلون في رواية الحكايات التي لا يقبلها النقل والعقل، ولا ينبني تحتها العمل، ولا كلفنا الشرع بالتنقيب عنها، فهؤلاء كثيراً ما تستهويهم الأخبار الكاذبة، وأخبار أهل الكتاب من اليهود والنصارى. وهم بذلك قد فتحوا بابا خطيراً لرواية الأخبار الواهية.

وأصحاب المذاهب النحوية –مثل: الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) في كتابه المعروف بـ**"الكشاف"**[٢]**–** يغوصون في ذكر أسرار اللغة، وأوجه البلاغة، وعلم المناسبات، وقد ينكر بعضهم القراءات المتواترة، نظراً لأنها لا تتمشى مع مذهبهم النحوي والعقدي، متغاضين في ذلك عن رسالة القرآن، كما يرى ذلك حسين الذهبي[٣] والبشير الإبراهيمي[٤] وغيرهما. وهذا قد يؤدّي إلى تنفير الناس من قراءة التفاسير.

---

[١] انظر: الذهبي، محمد حسين، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها**، (مكتبة وهبة، ط٣، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م)، ص٢٥–٣٧.

[٢] انظر: المرجع السابق، ص٣٩–٤٦.

[٣] انظر: المرجع السابق، ص٣٩–٤٦.

[٤] انظر: ابن باديس، **في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ–١٩٩٥م)، ص ١٧–١٩.

والخوارج[١]، وبعض المتصوفة الفلسفية[٢]، والمعتزلة[٣] والشيعة (الإمامية الإثنا عشرية)[٤]، وغيرهم من الفرق التي حادت عن الصواب في تفسير القرآن الكريم وأولته على غير مراد الله عز وجل، وذلك من أجل نصرة آرائهم الفكرية والفلسفية التي يتشيّعون لها، حيث لا يجدون حرجاً في لَيّ عنق النصوص الصريحة، القطعية الثبوت، القطعية الدلالة. وهم بذلك قد فتحوا بابا للجدل والسفسطة، وما أخطره من باب.

وأصحاب التفسير العلمي[٥]، يزعمون أن القرآن الكريم قد حوى كل العلوم الكونية، والنظريات الحديثة التي توصل إليها الغرب، بما فيها علم الطب، وعلم الهندسة، وعلم الكيمياء، وعلم الجيولوجيا، وغيرها من العلوم النافعة، وهؤلاء ربّما لم ينتبه بعضهم على أن ما ثبت اليوم بالتجربة العلمية قد ينتفي غداً بالتجربة نفسها، وما انتفى اليوم قد يثبت في الغد، وبالتالي فإن النظريات العلمية التجريبية لا تعرف الاستقرار على حالة واحدة، اللهم إلا ما استثنيناه من الحقائق العلمية الثابتة. وهذا يفتح الباب لتكذيب القرآن، وأنه ليس من الله، وإنما هو من صنع البشر؟

---

[١] يرى حسين الذهبي بأنه ليست هناك من فرق الخوارج فرقة باقية غير فرقة الإباضية، ووصفها بأعدل فرق الخوارج، وساق لنا مثالاً واحداً عن مثل هذه التفاسير التي حادت عن الصواب، وهو التفسير المسمَّى: **"هميان الزاد إلى المعاد"** لمحمد بن يوسف اطفيش الإباضي الجزائري المتوفَّ سنة ١٣٣٢هـ، حيث يرى حسين الذهبي بأن صاحب **"هميان الزاد"** لا يكاد يجد مناسبة يذكر فيها عثمان أو عليّ إلا وينال منهما، انظر: الذهبي، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها**، ص ٦٣-٧١.

[٢] مثل تفسير: **"الفتوحات المكية"** لمحي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ، ويرى حسين الذهبي بأن التفسير الذي أقامه ابن عربي على نظرية وحدة الوجود لا يقبل بحال من الأحوال، لأنه هدم للدين من أساسه، انظر: المرجع السابق، ص ٧١-٨٢.

[٣] مثل تفسير الزمخشري المتوفَّ سنة ٥٣٨هـ المسمّى: **"الكشاف"**، واعتبر حسين الذهبي الزمخشري من رؤوس المعتزلة، انظر: المرجع السابق، ص ٤٧-٥٢.

[٤] مثل كتاب: **"تفسير القرآن"** للسيد عبد الله العلوي المتوفَّ سنة ١١٨٨هـ، وكتاب: **"البرهان في تفسير القرآن"** لهاشم البحراني المتوفَّ سنة ١١٠٧هـ، وكتاب: **"مجمع البيان لعلوم القرآن"** للطبرسي المتوفَّ سنة ٥٣٨هـ، وغيرها، انظر: المرجع السابق، ص ٥٣-٦٢.

[٥] مثل تفسير: **"الجواهر في تفسير القرآن الكريم"** للشيخ طنطاوي جوهري المتوفى سنة ١٩٤٠م، ويرى حسين الذهبي بأن طنطاوي جوهري من أبرز المتعصبين لهذا اللون في التفسير، ووصف تفسيره بأنه خروج بالقرآن عن قصده وانحراف به عن هدفه، انظر: المرجع السابق، ٨٣-٩١.

ومدّعو التجديد[١]، يؤوّلون القرآن الكريم على غير تأويله، فيدخلون فيه وجهة نظرهم، مدّعين في ذلك التيسير، والتبشير، ومسايرة الواقع الذي يفرضه الغرب، وبالتالي يُسهِمون في نسف التراث الإسلامي، جاعلين قاعدتهم الأساسية موافقة الغرب في كل ما يقولونه ولو أدّى بهم ذلك إلى التنازل عن القواعد الأساسية لهذا الدين. وهم بذلك قد فتحوا بابا للزندقة والافتراء على الإسلام.

هكذا كان حال طائفة من المفسرين مع القرآن الكريم في الأيام الخالية، والأيام الحالية، حيث فرضوا عليه نحلهم، ومذاهبهم الفقهية والعقدية، وآراءهم الذاتية، بعيدين كل البعد عن الأخلاقيات التي يتطلبها البحث العلمي، كالموضوعية، والنزاهة العلمية، والحياد، والنقد البنّاء ونحو ذلك.

٢ – نشأة الطرق المنحرفة في التفسير وأسبابها

٢–١ نشأتها

بعد وفاته عليه الصلاة والسلام وانقطاع الوحي، ثم حين اختلف المسلمون سياسياً، وتفرّقوا إلى شيعة وخوارج وجمهور، ووُجِدَ من أهل البدع والأهواء من روّجوا لبدعهم، وتعصبوا لأهوائهم، ودخل في الإسلام من تبطَّن الكفر والتحف الإسلام بقصد الكيد له، وتضليل أهله، فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة، ليصلوا بها إلى أغراضهم السيّئة، ورغباتهم الخبيثة[٢]. ويبدو لي أن التأسيس والتأصيل لهذه التيارات والطرق المنحرفة القديمة منها والحديثة كان في العصر الأموي على أكثر تقدير.

أورد محمد حسين الذهبي في كتابه: "التفسير والمفسرون" أنّ واصل بن عطاء الملقب بالغزال دخل على الحسن البصري رجل فقال: يا إمام الدّين، ظهر في زماننا جماعة يكفرون صاحب الكبيرة، وجماعة أخرى يرجئون الكبائر، ويقولون: لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فكيف تحكم لنا أن نعتقد في ذلك؟ فتفكّر الحسن، وقبل أن يجيب قال واصل: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق، ثم قام إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد، وأخذ يقرّر

---

[١] مثل تفسير: **"الهداية والعرفان في تفسير القرآن بالقرآن"** للشيخ أبي زيد الدمنهوريّ، وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبرى في المحيط العلمي، وثورة ساخطة من شيوخ الأزهر الشريف على مؤلفه، وانتهى الأمر بمصادرة الكتاب والحكم على صاحبه بالزيغ والضلال على حدّ تعبير حسين الذهبيّ، انظر: الذهبي، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها**، ٩٣–٩٩.

[٢] انظر: الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، (آوند دانش للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)، ج١، ص١٠٧.

على جماعة من أصحاب الحسن ما أجاب به، من أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، ويثبت له منزلة بين المنزلتين، قائلاً: إن المؤمن اسم مدح، والفاسق لا يستحق المدح فلا يكون مؤمناً، وليس بكافر أيضاً؛ إقراره بالشهادتين، ولوجود سائر أعمال الخير فيه، فإذا مات بلا توبة خلّد في النار، إذ ليس في الآخرة إلا فريقان فريق في الجنة، وفريق في السعير لكن يخفف عنه، وتكون دركته فوق دركات الكفار، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل، فلذلك سمّي هو وأصحابه معتزلة[١]. ويفهم من هذا الكلام أن المعتزلة كانت لهم اليد الطولى في فتح باب فتنة ظهور الطرق المنحرفة، وأنهم هم أوّل من سنّ فكرة التأصيل لمذهبهم الذي حاد بهم عن طريقة الصواب، وتالياً فإنهم يتحملون وزرهم ووزر من نحا نحوهم إلى يوم الدّين.

٢-٢ أسبابها

لا شك أن انتهاء التفسير المأثور إلى حذف الأسانيد وذكره مجردا عنها، فتح على المسلمين باب شرٍّ عظيم، حيث مكّن من تسرّب الموضوعات والإسرائيليات إلى التفسير، فكثيراً ما وضع أصحاب المذاهب السياسية والعقدية، وغيرهم من أصحاب الميول المختلفة والنزعات المنحرفة أقوالاً في التفسير ونسبوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو إلى بعض من اشتهر بالتفسير من الصحابة، ترويجاً لمذاهبهم و تمكيناً لبدعهم وأهوائهم، ثم جاء من بعدهم فنقلوها عنهم في تفاسيرهم من غير أن يتحرّوا صحتها، وبدون ذكر أسانيدها، فاغترّ كثير من الناس بهذه التفاسير، وظنوا كل ما فيها صحيحاً، كما ظنوا ما دُسَّ على التفسير من الإسرائيليات صحيحاً كذلك[٢]، ولا شك أيضاً في أن انتهاء التفسير بالرأي، إلى إخضاعه لميول شخصية ومذاهب عقدية وغير عقدية، فتح على المسلمين باب شر خطير، ولج منه أعداء الإسلام إلى ما يهدفون إليه من إفساد عقائد المسلمين، ودلف منه مبتدعة المسلمين إلى ترويج بدعهم، واقتحمه أشباه المثقفين بنظراتهم الكليلة، وعقولهم العليلة، ثم خرجوا على الناس بعبثهم وسخافاتهم التي يتبرأ منها كتاب الله عز وجل، ولو أن هؤلاء جميعاً حين خاضوا في تفسير

---

[١] انظر: المرجع السابق، ج١، ص٢٤٠.

[٢] انظر: الذهبي، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها**، ص١٨.

القرآن الكريم، لم ينظروا إليه من خلال نزعاتهم وأهوائهم، وراعوا قوانين التفسير التي لا يجوز تخطيها، ما رأينا هذه الطرق المنحرفة التي لا تخضع إلا لمجرد الهوى والاستحسان[١].

ليس من الصعب بمكان على من يقرأ كلام الذهبي أنه يخلص إلى أن الخطأ في التفسير بالرأي يرجع إلى عاملين وهما:

العامل الأول: أن يعتقد المفسر معنى من المعاني، ثم يريد أن يحمل ألفاظ القرآن على ذلك المعنى الذي يعتقده.

العامل الثاني: أن يفسر القرآن بمجرد ما يسوغ أن يريده بكلامه من كان من الناطقين بلغة العرب، وذلك بدون نظر إلى المتكلم بالقرآن، والمنزل عليه، والمخاطب به[٢].

وهكذا نستطيع أن نرجع أسباب الطرق المنحرفة في التفسير إلى أمرين اثنين:

الأمر الأول: حذف الأسانيد، وذكر التفسير مجرّداً عنها هو الذي مكّن من تسرّب الموضوعات والإسرائيليات إلى التفسير.

والأمر الثاني: التفسير بالرأي المذموم، وإخضاعه لميول شخصية ومذاهب عقدية، وغير عقدية هو الذي فتح المجال أمام المبتدعة وأعداء الإسلام ليفسدوا على المسلمين دينهم.

٣ – الطرق المنحرفة في التفسير

٣–١ طريقة الإخباريين والقصاص في التفسير:

إنّ النّاظر في طريقة الإخباريين والقُصَّاصِ في تفسيرهم لكتاب الله عز وجلّ يجدهم أنهم قد حشوا تفاسيرهم بالإسرائيليات والموضوعات التي لا تَمُتُّ إلى الدين بصلة، ومن هنا فإنّ شغفهم بإيراد القصص ولو كان فيها الأكاذيب قادهم إلى تفسير القرآن بما لا يتصوره عقل بشر. وما طريقةهم هذا في تفسير كتاب الله عز وجل إلا دليل على جهلهم المقصود الأكبر من إنزال القرآن الكريم، ولنا نماذج كثيرة من هذا اللون من التفسير ونقتصر منها على ما ذكره الخازن في تفسيره:

---

[١] انظر: المرجع السابق، ص١٩.

[٢] انظر: المرجع نفسه، ص٢٠.

نجد نموذجًا لذلك في تفسير الخازن قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٣-٨٤)؛ حيث ذكر قصة طويلة عجيبة.[١] ثم ذكر كيف أن قوم أيوب تركوه ولا موه مما أدى إلى إعراض أيوب عنهم وإقباله على ربه مستغيثاً به متضرعاً. وبعد كلام طويل دار بين أيوب وربه، قال الله تعالى": يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي، فقد غفرت لك، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزاً للصابرين، فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب، فمنه تناول وقرب عن أصحابك قرباناً استغفر لهم، فإنهم قد عصوني فيك"[٢] ثم نقل عن الحسن: "أن أيّوب مكث مطروحاً على كناسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهراً يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة-اسم زوجته- صبرت معه بصدق، وكانت تأتيه بالطعام، وتحمد الله معه إذ حمد، وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه، فصرخ إبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض، فلما اجتمعوا إليه قالوا: ما أحزنك؟ قال: أعياني هذا العبد الذي لم أدع له مالاً ولا ولداً ولم يزدد إلا صبراً، ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقاة على كناسة لا تقربه إلا امرأته، فاستعنت بكم لتعينوني عليه، فقالوا له: فأين مكرك الذي أهلكت به من مضى؟ قال: بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا عليَّ قالوا: من أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة؟ قال: من قبل امرأته. قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها وليس يقربه أحد غيرها. قال: أصبتم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امراة أيوب وهي تصدق فتمثل لها في صورة رجل وقال لها: أين بعلك يا أمة الله؟ قالت هو ذاك يحك قروحه ويتردد الديدان في جسده. فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع، فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال، وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر، وأن ذلك لا ينقطع عنه أبداً، فصرخت فعلم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال: ليذبح لي هذه أيوب ويبرأ افجاءت تصرخ يا أيوب حتى متى يعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن أين جسمك الحسن؟ اذبح هذه السخلة واسترح. قال أيوب: أتاك عدو الله فنفخ فيك؟ ويلك... والله لئن شفاني الله لأجلدنك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله..

---

[١] المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٧.

[٢] المرجع نفسه، ج٣، ص٢٣٨.

وطردها..إلى آخر القصة"[١]. والعجب أنّ الخازن ينتهي من هذه القصة، ثم لا يعقبها بأية كلمة تشعر بتكذيبها أو الشك فيها، مع أنها بلا شك رواية موضوعة مكذوبة، بل مدسوسة على القرآن الكريم.

٣-٢ طريقة المعتزلة في التفسير:

لقد أقام المعتزلة تفسيرهم على أصولهم الخمسة وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهذه الأصول الخمسة يجمع الكل عليها، ومن لم يقل بها جميعاً فليس معتزليّاً بالمعنى الصحيح. قال أبو الحسن الخياط أحد زعماء المعتزلة: ﴿وليس يستحق أحد اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فإذا كملت هذه الخصال فهو معتزلي﴾ [٢].

هذا وقد عرفنا عموماً طريقة المعتزلة في تفسير القرآن الكريم، فالننتقل الآن إلى ذكر بعض النماذج التفسيرية لهم من كتاب الكشاف – وهو الكتاب العمدة لديهم– حتى نرى كيف أنهم يخضعون معاني القرآن إلى ما يتوافق مع نحلتهم وهواهم ولو أدى بهم ذلك إلى تحريف القرآن:

فمثلاً عند قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢) يقول الزمخشري: " ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربّها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول. ألا ترى إلى قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ (القيامة: ١٢) ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ (القيامة: ٣٠) ﴿أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (الشورى: ٥٣) ﴿وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ (آل عمران: ٢٨) ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: ٢٤٥)﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٠) كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم؛ فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه محال، فوجب حمله على معنى يصح معه

---

[١] الخازن، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج٣، ص٢٣٩.

[٢] انظر: المرجع السابق، **التفسير والمفسرون**، ج١، ص٢٤١.

الاختصاص، والذي يصح معه، أن يكون من قول الناس، أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء.[١]

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ يرى الزمخشري أن معناه وجرّح الله موسى بأظفار المحن ومخالب الفتن[٢].

ومثالا ثالثا عن خلود أهل الكبائر في النار عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، يرى الزمخشري أنّ هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والإبراق والإرعاد أمر عظيم وخطب غليظ، ومن ثم روى عن ابن عباس أنّ توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة، وعن سفيان كان أهل العلم إذا سئلوا قالوا: لا توبة له. وذلك محمولٌ منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد وإلا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا، ثم ساق أحاديث كثيرة على عظم نفس المؤمن، منها: "لزوال الدنيا أهون على الله من قتل امرىء مسلم"، ومنها: "من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله" ثم تعجّب من قوم يقرؤون هذه الآية ويرون ما فيها ويسمعون هذه الأحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم أشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة وإتباعهم هواهم وما يخيل إليهم مناهم أن يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ثم ذكر الله التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للأطماع وأي حسم ولكن لا حياة لمن تنادي، فإن قلت هل فيها دليل على خلود من لم يتب من أهل الكبائر قلت: ما أبين الدليل وهو تناول قوله ﴿ومن يقاتل)أي قاتل كان من مسلم أو كافر تائب أو غير تائب إلا أن التائب أخرجه الدليل فمن ادعى إخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله[٣].

---

[١] الزمخشري، جار الله، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، (مصر: مطبعة مصطفى البابي، د.ط، ١٩٧٢م) ج٤، ص١٩٢.

[٢] الزمخشري، جار الله، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج١، ص٥٩١.

[٣] الزمخشري، جار الله، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، ج١، ص٥٥٠.

٣-٣ طريقة الشيعة في التفسير:

الشيعة في الأصل هم الذين شايعوا عليّاً وأهل بيته ووالوهم، وقد أمالوا بالقرآن نحو عقائدهم وفسروه حسب أهوائهم، ومقصودهم من تفسير القرآن الكريم هو تقرير وترسيخ أفكارهم التي يعتقدونها بغية تمريرها بين العموم. وقد اعتمدوا المنهج الآتي في تفسير القرآن لتمرير عقائدهم:

- تفسير القرآن بالقرآن[١].

- تفسير القرآن بالسنة ﴿ويعنون بها ما ورد عن طرق أهل البيت﴾ [٢].

- تفسير القرآن بأقوال أئمتهم. قالوا: "وقد ثبت بطرق متواترة في حديث الثقلين أن أقوال العترة الطاهرة من أهل بيته –عليهم السلام– هي تالية لأقوال الرسول فهي حجة أيضاً"[٣].

أما فيما يخص الأخذ عن الصحابة الذين هم أفضل من فهم القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم باعتبارهم رأوا النبيّ، وشهدوا التنزيل. فإنّ الشيعة يرون أن الصحابة والتابعين كبقية المسلمين لا حجة في أقوالهم إلا ما ثبت أنه حديث نبويّ. ويا ليتهم وقفوا عند هذا، بل وتجاوزوا هذا فرفضوا ما رواه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وردّوا رواياتهم كلّها إلا ما صحّ من طرق أهل البيت[٤].

- إنكارهم القياس، قالوا: "إن الإمامة لا تعمل بالقياس وقد تواتر عن أئمتهم أن الشريعة إذا قيست محق الدين"[٥].

- أما الإجماع فليس حجة بنفسه إلا إذا كان الإمام المعصوم من المجمعين، أو كان الإجماع يعتمد على دليل معتبر، أو كاشفاً عن رأيه في المسألة[٦].

---

[١] انظر: الرومي، فهد بن عبد الرحمن، **الطرق التفسير في القرن الرابع عشر**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٤هـ)، ج١، ص١٩٣.

[٢] انظر: المرجع السابق، ج١، ص١٩٣.

[٣] المرجع السابق، ج١، ص١٩٣.

[٤] نفسه، ج١، ص١٩٣.

[٥] نفسه، ج١، ص١٩٣.

[٦] نفسه، ج١، ص١٩٣.

– أما العقل عندهم ودليله فلا يدخل فيه عندهم القياس، ولا المصالح ولا الاستحسان[١]. يرى الدكتور الرومي أن التفسير العقلي عند الشيعة جاء نتيجة تأثرهم بنظرة المعتزلة للعقل، لأجل ذلك فإن عدداً كبيراً من سلف الشيعة تتلمذ لبعض مشايخ المعتزلة[٢].

هذا ولنعد الآن إلى ذكر بعض نماذجهم التفسيرية التي غرّروا بها بعض العوام من الناس.

في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَنكِحُواْ الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُواْ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[٣] يقول الطبرسي: "وهذه الآية على عمومها –عندنا– في تحريم مناكحة الكفار، وليست منسوخة ولا مخصوصة،... ولا يجوز نكاح الوثنية إجماعاً، لأنها تدعو إلى النار كما حكاه الله تعالى، وهذه العلة بعينها قائمة في الذمية من اليهودية والنصارى، فيجب أن لا يجوز نكاحها"[٤]. وتالياً نجد أن الطبرسي يفسر هذه الآية على ما يتوافق مع مذهبه.

ذكر الكليني في "أصول الكافي":

"عن صالح بن سهل الهمداني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ فاطمة عليها السلام، ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن، ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ الحُسين، ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ فاطمة كوكب درّيّ بين نساء أهل الدنيا، ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ إبراهيم عليه السلام، ﴿زَيْتُونِةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ وَلاَ غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ يكاد العالم يتفجّر بها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام منها بعد إمام، ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله للأئمة من يشاء، ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ قلت: ﴿كَظُلُمَاتٍ﴾ قال: الأول وصاحبه ﴿يَغْشَاهُ مَوْجٌ﴾ الثالث، ﴿مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ ظُلُمَاتٌ﴾ الثاني، ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ

---

[١] نفسه، ج١، ص١٩٣.

[٢] نفسه، ج١، ص١٩٥.

[٣] سورة البقرة: ٢٢١.

[٤] الطوسي، أبو جعفر، **التبيان في تفسير القرآن**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج١، ص٢١٧–٢١٨.

بَعْضٍ﴾ معاوية لعنه الله وفتن بني أمية، ﴿إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ﴾ المؤمن في ظلمة فتنهم، ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ إماماً من وُلْد فاطمة عليها السلام، ﴿فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ إمام يوم القيامة"[١].

ومن نماذج تحريف الشيعة:

يقول المجلسي في كتابه: "التذكرة": "إن عثمان بن عفان حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي، وأهل البيت، وذم قريش، والخلفاء الثلاثة مثل آية: يا ليتني لم أتخذ ﴿أبا بكر﴾ خليلاً"[٢].

ويقول الشيعي محسن الكاشاني في تفسيره الصافي: "والمستفاد من مجموع هذه الروايات من طريقة أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بل ومنه ما هو خلاف ما أنزل الله، ومنه ما هو مغيَّر محرّف وأنه حذف منه أشياء كثيرة منها اسم علي في كثير من المواضع، ومنها لفظة آل محمد غير مرة ومنها أسماء المنافقين في مواضعهم، ومنها غير ذلك وأنه –أي القرآن– ليس على الترتيب المرضي عند الله"[٣]. ومن نماذج هذا التحريف: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ (في علي) أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا﴾ (النساء: ١٦٦)، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ (في عليّ) وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (المائدة: ٦٦، ٦٧)، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ (آل محمد حقّهم) لَمْ يَكُنِ اللّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ)[٤] (النساء: ١٦٨).

٣–٤ طريقة الصوفية الفلسفية في التفسير

التصوف هو بمعنى الزهد، والتقشف، والإعراض عن الدنيا وشهواتها، وترك ما لا ينفع في الآخرة، والتصوف بهذا المعنى كان موجوداً منذ الصدر الأول للإسلام فكثير من الصحابة كانوا معرضين عن الدنيا ومتاعها، فكان منهم من يقوم الليل ويصوم النهار، ومنهم من يشد الحجر على بطنه تربية لنفسه وتهذيباً لروحه، غير أنهم لم يعرفوا في زمنهم باسم الصوفية، وإنما اشتهر هذا اللقب في القرن الثاني

---

[١] الكليني، أبو جعفر، **أصول الكافي**، (إيران: منشورات العلمية الإسلامية، د.ط، د.ت)، ج١، ص٢٧٨–٢٧٩.

[٢] كامل، عبد الله، **الأدلة الباهرة على نفي البغضاء بين الصحابة والعترة الطاهرة**، (دار المصطفى، ٢٠٠٢م)، ص ١٤.

[٣] المرجع السابق، ص ١٤.

[٤] المرجع السابق، ص ١٧.

الهجري. وبعد ذلك أخذت الصوفية من الفلسفة بحظ وافر، وأصبحنا نرى بعضهم يدين بمسائل فلسفية لا تتفق ومبادئ الشريعة، مما أثار عليهم جمهور أهل السنة، وجعلهم يحاربون التصوف الفلسفي، ويؤيدون التصوف الذي يدور حول الزهد[١]. هكذا فإن التصوف في بداية أمره كان يخطو خطوات صحيحة لما كان مبنياً على الكتاب والسنة، قال الجنيد: علمنا هذا مبني على الكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن. وقال سهل بن عبد الله التستري: يا معشر الصوفية لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق[٢]. إذن فما تزندقت الصوفية إلا بعد أن أعرضت عن الكتاب والسنة وأقبلت تأخذ من الفلسفة اليونانية.

ومن نماذج تفسير الصوفية للقرآن ما ذكره الشيخ السلمي في تفسيره المسمى "حقائق التفسير":

في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُواْ أَنفُسَكُمْ﴾ (النساء: ٦٦) قال السلمي: "قال محمد بن الفضل رحمه الله: اقتلوا أنفسكم بمخالفة هواها أو اخرجوا من دياركم، يعني أخرجوا حُبَّ الدنيا من قلوبكم، ما فعلوه إلا قليل في العدد كثير في المعاني، وهم أهل التوفيق والولايات الصادقة"[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ (الرعد: ٣) يقول السلمي: "قال بعضهم: هو الذي بسط الأرض وجعل فيها أوتاداً من أوليائه، وسادة من عبيده، فإليهم الملجأ، وبهم الغياث فمن ضرب في الأرض يقصدهم فاز ونجا، ومن كان سعيه لغيرهم خاب وخسر.

وعند قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (النصر: ١) يقول: "قال ابن عطاء: إذا شغلك به عما دونه فقد حال الفتح من الله، والفتح هو النجاة من السجن البشري بلقاء الله"[٤].

إن هذه الطريق في التفسير وهي الاقتصار على المعاني الإشارية والإعراض عن المعاني الظاهرة فتح باباً للطعن على هذا التفسير وعلى صاحبه. قال السيوطي بعد أن صنف هذا التفسير ضمن

---

[١] انظر: الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج٢، ص٢٣٠.

[٢] انظر: ابن تيمية، عبد الحليم، **قاعدة عظيمة نافعة في العبادات والفرق بين شرعيتها وبدعيتها**، (الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩١م)، ص ٧٣.

[٣] السلمي، أبو عبد الرحمن، **حقائق التفسير**، تحقيق: سيد عمران، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١م)، ج١، ص ١٥٤.

[٤] السلمي، **حقائق التفسير**، ج٢، ص ٤٢٥.

تفاسير المبتدعة: "وإنما أوردته في هذا القسم لأن تفسيره غير محمود"[١]. وقال الذهبي في تاريخه: "كتابه حقائق التفسير ليته لم يصنفه، فإنه تحريف وقرمطة"[٢].

٣-٥ طريقة مدّعي التجديد في التفسير

مُنِيَ الإسلام من زمن بعيد بأناس يكيدون له، ويعملون على هدمه بكل ما يستطيعون من وسائل الكيد وطرق الهدم، وكان من أهم الأبواب التي طرقوها ليصلوا بها إلى نواياهم السيّئة: تأويلهم للقرآن الكريم على وجوه غير صحيحة تتنافى مع ما في القرآن من هداية، وتناقض ما هو عليه من محجة بيضاء، وتهدف إلى ما سولته لهم أنفسهم من نِحل خاسرة وأهواء. مني الإسلام بهذا من أيامه الأولى، ومني بمثل هذا في أحدث عصوره، فظهر في هذا القرن أشخاص يتأولون القرآن على غير تأويله، ويلوونه إلى ما يوافق شهواتهم، ويقضي حاجات في نفوسهم، فأدخلوا في تفسير القرآن آراء سخيفة، ومزاعم باطلة، تقبلها بعض المخدوعين من العامة وأشباه العامة، ورفضها بكل إباء من حفظ الله عليهم دينهم وعقولهم[٣].

فمن ذلك ما نجده لبعض من دفعهم حب التجديد إلى أن يسايروا روح الإلحاد، ويجاورا من يتهمون الشريعة الإسلامية بالقسوة في أحكامها وحدودها، من تأويله لآيات الحدود على غير تأويلها. فحمل الأمر فيها على الإباحة، وجعل الحدود مفوضة إلى ولي الأمر، إن شاء أقامها، وإن شاء لم يقمها[٤].

يرى الأستاذ يوسف كمال أنّ جذور تيّار الحداثيين أو كما يسمّيهم الأستاذ "معتزلة اليوم" يعود إلى النصف الأخير من القرن التاسع عشر في الهند على يد أحمد خان الموظف لدى السلطة الإنجليزية، وكان متيّماً بعاداتهم وبأخلاقهم. وكانت دعوته تقوم على محاور ثلاثة هي أوّلاً: تأويل القرآن على مقتضى علوم العصر التجريبية والفلسفية، وثانيا: إبعاد السنة عن مجال الحياة السياسية والاقتصادية

---

[١] السيوطي، جلال الدين، **طبقات المفسرين**، تحقيق: علي محمد عمر، (د.م: مكتبة وهبة، ١٩٧٦م)، ص ٩٨.

[٢] المرجع السابق، ص ٩٨.

[٣] انظر: الذهبي، **الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها**، ص٩٣.

[٤] انظر: المرجع السابق، ص٩٤.

والاجتماعية والتشكيك فيها ورفض كل ما لا يوجد منها في القرآن، وثالثا: هدم أصول الفقه وتشويه الفقه وفتح الباب للقول في الدّين بالرأي[١].

وأما التبريرات المزعومة التي استند إليها الحداثيون لأجل تحقيق هذه الأهداف الهدّامة هي ملخصة كالآتي:

-أن الاجتهاد كان مطلقاً دون قيد في عصر الصحابة لا تحدّه إلا المصلحة وإن تخطى النص، ويستدلون على ذلك بأمور منها: تعطيل سيدنا عمر رضي الله عنه لحد السرقة في عام المجاعة، وعدم تقسيم الأراضي التي غنمت في الفتح، وإمضاء الطلاق الثلاث قولاً كالطلاق على دفعات. ويحملون على الشافعي تقييده هذا الاجتهاد الطليق بما وضعه من أصول وقواعد، ولهذا يدعون إلى تطوير أصول الفقه من هذا المنطلق فيرفضون الإجماع والقياس والفقه والتراث ويعتبرون الاجتهاد في المعاملات هو تخطي النص باسم المصلحة[٢].

-التزامهم بالقرآن وحوالي أربعة عشر حديثاً متواتراً، أما أحاديث الآحاد فإنهم ينهجون منهج الخوارج والمعتزلة فيها باعتبارها قضايا عين لا قياس عليها، أو يشكّكون في حجية العمل بها[٣].

-الاستشهاد بالحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة وجدهم يلقحون نخيلهم فقال: "ما تصنعون؟" قالوا: كنا نصنعه. قال: "لعلكم لو لم تفعلوا كان خيراً"، فتركوه فلم تثمر النخل. فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فقال: "إنما أنا بشر..." ليجعلوا كثيراً من المعاملات لا حجة للسنة فيها[٤].

-الفقه الإسلامي هو عمل الفقهاء.. والحكم الإلهي لا يقوم إلا في عهد رسول أو نبي، ولهذا لا يمكن أن يدّعي ذلك بشر، وإنما بعد الرسل حكومات مدنية لا يمكن لها أن تقوم بحكم الله. فبوفاة الرسول تنتهي حكومة حكم الله للناس[٥].

---

[١] انظر: كمال، يوسف، **العصريون معتزلة اليوم**، (المنصورة: دار الوفاء، ط٢، ١٩٩٠م)، ٨.

[٢] انظر: المرجع السابق، ٥١.

[٣] انظر: المرجع السابق، ٥٢.

[٤] انظر: المرجع السابق، ٥٢.

[٥] انظر: المرجع السابق، ٥٣.

ولنا هنا وقفة يسيرة مع منهج الحداثيين في فهم القرآن؛ إن الحداثيين على اختلاف مشاربهم، وتنوع خلفياتهم الفلسفية التي يستندون إليها في كتاباتهم وتنظيراتهم وفهمهم للنصوص ونقدها فإنهم يدعون في كتاباتهم أنهم ملتزمون بمبادئ أساسية أهمها: الموضوعية والشمولية.

فالموضوعية في نظر أصحاب هذا الطريق هو ضرورة فصل الذات عن الظاهرة موضوع الدراسة والتجرد من أي فكر مسبق بحيث يتعامل معها تعاملاً شبه آليٍّ خالٍ من العواطف الجيّاشة التي من شأنها إيقاع صاحبها في الوهم، وخاصة إذا كان موضوع الدراسة موضوعاً دينيّاً. وبالمقابل فإن المطلع على كتابات القوم، يجد أن الموضوعية ما هي إلاّ مجرّد شعار يُختبأُ خلفه، لتسويق الأفكار في عالمنا العربي وأداة لتغييب الحقائق، وتهميش الخصم واستبعاد ما يستجد من معارف على حدّ تعبير الدكتور الجيلاني[١].

وأما الشمولية في نظر الحداثيين فهي الدراسة التي لا تذيب الخاص في العام ولا تتقوقع في الخاص على حساب العام، ومن هنا ضرورة إعادة قراءة التراث والفكر المعاصر برؤية جديدة، رؤية شمولية، جدلية، تاريخية، لا تقتل الخاص في العام، ولا تتقوقع في الخاص على حساب العام. وهي عندهم شرط أساس لفتح باب الاجتهاد على حدّ تعبير الدكتور الجيلاني[٢].

ومن نماذج هذا اللون الإلحادي من التفسير:

قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٨-٣٩) وقوله تعالى في حد الزنى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلاَ تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (النور: ٢). أورد حسين الذهبي عن صاحب مقال: "التشريع المصري وصلته بالفقه الإسلامي" ما نصه: "فهل لنا أن نجتهد في الأمر الوارد في حد السرقة وهو قوله تعالى: ﴿فاقطعوا﴾ والأمر الوارد في حد الزنى وهو قوله تعالى: ﴿فاجلدوا﴾ فنجعل كلا منهما للإباحة لا للوجوب، ويكون الأمر فيهما مثل الأمر في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾

---

[١] انظر: لجيلاني، مفتاح، **الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم**، (دمشق: دار النهضة، ٢٠٠٦م)، ص١١٦-١١٧.

[٢] المرجع السابق، ص١٢٠.

(البقرة: ٣١) فلا يكون قطع يد السارق حدا مفروضاً، لا يجوز العدول عنه في جميع حالات السرقة، بل يكون القطع في السرقة هو أقصى عقوبة فيها، ويجوز العدول عنه في بعض الحالات إلى عقوبات أخرى رادعة. ويكون شأنه في ذلك شأن كل المباحات التي تخضع لتصرفات ولي الأمر، وتقبل التأثر بظروف كل زمان ومكان. وهكذا الأمر في حد الزنى سواء أكان رجماً أم جلداً، مع مراعاة أن الرجم في الزنى لا يقول به فقهاء الخوارج؛ لعدم النص عليه في القرآن الكريم، وهل لنا أن نذلل بهذا عقبة من العقبات التي تقوم في سبيل الأخذ بالتشريع الإسلامي. مع أنا في هذه الحالة لا نكون قد أبطلنا نصّاً ولا ألغينا حدّاً، وإنما وسعنا الأمر توسيعاً يليق بما امتازت به الشريعة الإسلامية من المرونة والصلاحية لكل زمان ومكان، وبما عرف عنها من إيثار التيسير على التعسير، والتخفيف على التشديد..." [١].

ولنا نموذج متقدم للحداثيين يتمثل في شخصية الطاهر الحداد التونسي الذي ألف كتابا أسماه: "امرأتنا في الشريعة والمجتمع"[٢] وقد تلقف الغرب هذا الكتاب وأخذ يترجمه إلى لغاته.

لقد عالج المؤلف في كتابه هذا قضايا كثيرة تتعلف بالمرأة مثل: تعدد الزوجات، الميراث، الحجاب وغير ذلك.

ولنقف الآن عند قضيتين أثارهما الكاتب وهما: تعدد الزوجات، والحجاب.

أما عن تعدد الزوجات فقد قال الكاتب: "ليس لي أن أقول بتعدد الزوجات في الإسلام لأنني لم أر للإسلام أثراً فيه وإنما هو سيئة من سيّئات الجاهلية الأولى التي جاهدها الإسلام طبق سياسته التدريجية... فكما يشعر الرجل ويرى أن امرأته له وحده كذلك تشعر المرأة وترى مثله أن زوجها لها وحدها"[٣] ثم ضرب مثالاً حيّاً عن امرأة تشكو زوجها الذي طردها من بيتها عقبه بقوله: "هذا مثال حيٌّ من أمثلة لا تحصى قد ملأت حياتنا بالنكد والفواجع. ورغما من ذلك فما زال أكثرنا يتمسك بأن تعدد الزوجات من أول ما تحمي الشريعة بقاءه. فيا للتعاسة والجهل"[٤].

---

[١] الذهبي، **التفسير والمفسرون**، ج٢، ص٣٥٧.

[٢] لقد أثار هذا الكتاب غضب النّاقدين ضدّه مما أدّى إلى تجريده من شهادة العالمية لما في الكتاب من إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن. انظر: محفوظ، **تراجُم المؤلفين التونسيّين**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٢م) ج٢، ص ١٠٩-١١٥.

[٣] الحداد، الطاهر، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، (تونس، دار التونسية، ط٤، ١٩٨٥م)، ص ٥٥.

[٤] المرجع السابق، ص ٥٧.

وأما عن الحجاب فقد قال المؤلف: "ما أشـبه ما تضـع المرأة من النقاب على وجهها منعاً للفجور بما يوضـع من الكمامة على فم الكلاب كي لا تعض المارين، وما أقبح ما نوحي به إلى قلب الفتاة وضـميرها إذ نعلن اتهامها وعدم الثقة إلا في الحواجز المادية التي نقيمها عليها"[١]، ثم يقول: "غير أني كلما فكرت في أمر الحجاب لا أرى فيه إلا أنه أنانيتنا المحجبة بالشعور الديني كحصن تعتز به على المخالفين"[٢]، ويواصـل الكاتب كلامه عن الحجاب فيقول بكل جرأة: "إن الحجاب قد كان أعظم حائل بين الرجل والمرأة في اختيار كل منهما للآخر عند إرادة الزواج... والحجاب قد عطل أكثر هذه الحقوق ومهد لوقوع حوادث الزور والتدليس في التعريف بعين المرأة فيما لها أو عليها كما نشـاهده اليوم واقعاً يتكرر"[٣]، وما يزيد الطين بِلَّة هجوم الكاتب على الحجاب قائلاً: "إن حجاب المرأة عن الرجل لم يمنع طريقةها إلى جهات أخرى بتأثير العامل الطبيعي بل قد كان من أهم العوامل في انتشـار اللواط والمساحقة والعادة السرية... إن حجاب المرأة قد منع المرأة من التعلم والقدرة على الاقتصاد المنزلي وإدارة شؤون المعاش اليومي ويكفي أن نتصور عجزها عن الحساب من الواحد إلى ما فوق العشرة، وأنها لا تعرف أن تؤرّخ الحوادث إلا بعام الطاعون أو المجاعة أو عام انتقالها من منزل كذا إلى منزل كذا.." [٤].

ويذكر لنا عمار الطالبي أنه لـمّا أهدي هذا الكتاب: **"امرأتنا في الشـريعة والمجتمع"**[٥] إلى الشـيخ عبد الحميد بن باديس الجزائري، طالعه فوجد فيه الدعوة إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصـريحة القطعية الإجماعية، وتعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنّسـاء في هذا العصر[٦].

وفي هذا الصّدد يخاطب الشيخ ابن باديس الحدّادَ مستفهماً: "أفيجهل هذا الأصل الشيخ الحدّاد أم رضـي لنفسـه بانطباقه عليه؟؟"[٧] ثم يقول مشـفقاً عليه: "نحن لا نخشـى على المسـلمين من

---

[١] المرجع نفسه، ص ١٨٢.

[٢] المرجع نفسه، ص ١٨٢.

[٣] المرجع نفسه، ص ١٨٣-١٨٤.

[٤] المرجع السابق، ص ١٨٥-١٨٦.

[٥] الحداد، الطاهر، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، (تونس، دار التونسية، ط٤، ١٩٨٥م).

[٦] انظر: الطالبي، **ابن باديس حياته وآثاره**، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٦٨م)، ج٣، ص ٤٧٥.

[٧] المرجع السابق، ج٣، ص ٤٧٥.

دعوته شيئاً لأنّه من المعلوم الضروري عندهم أنّ جحود شيء من القرآن كفر به، وإنّما نخشى عليه هو أن يستمرّ على عقيدته فيكون من الهالكين"[١].

ويطول بنا المقام إذا تعرضنا إلى قضايا عقدية وفقهية تطبيقية من خلال التحليلات الحداثية الماركسية للقرآن الكريم. وحسبنا هنا أن نشير فقط إلى أهم النتائج التي توصل إليها الدكتور الجيلاني في كتابه: "الحداثيون العرب والقرآن الكريم":

– خطورة هذا الفكر الذي يهدف عن قصد إلى تمييع الإسلام وتهميشه

وجعله مطية لمحاربة الصحوة الإسلامية والحد من انتشارها والعمل على بثّ العلمنة وتوطينها.

– احتقار الحداثيين الواضح لمناهج التفسير الإسلامي والزهد فيها إلى

درجة تصل أحياناً إلى العداء المكشوف غير أن هذا الاحتقار والعداء لا يصدر عن قناعات علمية واضحة بل عن تعصّب فكري، وانبتات حضاري وجهل مركب بالإسلام ومناهجه.

– نظراً للمتغيرات الإقليمية والدولية على مستوى الخارطة الثقافية

والسياسية والاقتصادية التي يمر بها العالم اليوم، فإن أخطر شيء يمكن أن يمثله هذا الطريق هو إمكانية استغلاله من قبل القوى المهيمنة وترويج أفكاره وفرضها على الشعوب الإسلامية بنطق القوة، وجعلها الفهم الذي يجب على المسلمين اتباعه[٢].

٤– أثر طرق التفسير المنحرفة في تفريق كلمة المسلمين

من مقاصد الشريعة الإسلامية جمع كلمة المسلمين وتوحيد الأمة ولذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء: ٩٢) وقال أيضا: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (المؤمنون: ٥٢) وقد حث الإسلام على التعاون فقال تعالى ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ (آل عمران: ١٠٣) وقد نهى عن التفرق خاصة في أصول الدين ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا

[١] المرجع نفسه، ج٣، ص ٤٧٥.

[٢] انظر: الجيلاني، مفتاح، **الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة والقرآن الكريم**، ص٢٨٩–٢٩٠.

فِيهِ﴾ (الشـــورى: ١٣) ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ أن اعملوا به على ما شـــرع لكم وفرض، وقد نهى عن الاختلاف في أصول الدين[١] وقد بعث الله كل الرسل لإقامة الدين والألفة وترك الاختلاف[٢].

وبعد أن أمرنا الله بإقامة الدين نهانا عن التفرق المذموم، وقد وضـــح ابن عاشـــور في كتابه التحرير والتنوير أن الاختلاف في الأصول يؤدي إلى هدم الدين، ولذا كان الأمر لكل فرد في الأمة أن يكون معينا لغيره في تحقيق مقصـد حفظ الدين أما الاختلاف في الأصـول فهو يؤدي لضـياع أمور الدين[٣].

والقرآن لا يوجد فيه تناقض، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: ٨٢) وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الاتحاد، عن أبي موسى رضي الله عنه : عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه"[٤].

لقد كان للمناهج والطرائق المنحرفة أثر كبير في تفريق المسلمين، وذلك من بداية ظهور الفرق في أواخر عهد الخليفة الثالث عثمان رضي الله عنه حيث مثلت هذه الفترة مرحلة بداية ظهور الخوارج والشيعة، ثم في عهد الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حيث برزت فرقتا الخوارج والشيعة بشـــكل أكبر، وتلى هذه االفرق ظهور المرجئة والقدرية والمعتزلة، وغيرهم من الفرق، فكانت لكل فرقة من هذه الفرق مبادئ ومعتقدات، وكل فرقة من هذه الفرق سعت للبحث عن أسس من القرآن تبني عليها مبادئها ومعتقداتها ومذهبها فما وجدته يوافق هذه المعتقدات ولو ادعاء تمســـكت به واعتمدت عليه، وما رأت فيه ما ليس في صالحها تملصت منه بتأويله وصرفه بحيث لا يبقى معارضا لمعتقداتها،

---

١ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م(٢١/ ٥١٣)

٢ البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ (٤/ ١٤١)

٣ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»**، تونس، الدار التونسية للنشر سنة النشر: ١٩٨٤ هـ (٢٥/ ٥٤)

٤ البخاري، **صحيح البخاري**، باب نصر المظلوم رقم الحديث (٢٣١٤) ط ابن كثير (٢/ ٨٦٣)

هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبحث عن الآيات التي تستطيع التشنيع على مخالفيها وتنزلها عليهم، وتؤلها لرد معتقدات ومذاهب الآخرين والإنكار عليهم، ومن هنا اشتد الخلاف بين المسلمين وتفرقت كلمتهم فكل يتكلم بالقرآن، وأغلب الفرق المنحرفة تستدل بالآيات القرآنية على انحراف الطائفة والفرقة التي تخالفها، وربما استدلت بتكفيرها ووجوب قتالها، فاتسع الخرق، وانتشرت الفتنة، وصار القتال بين المسلمين جهادا، وما زالت تلك الحالة ردحا من الزمن، ثم انقضت وكانت تعود أحيانا هنا وهناك بشكل أو بآخر على مدى تاريخ الإسلام، وهاهي تعود بشكل أكبر بلبوس أخرى كالوطنية والحزبية والطائفية والقومية والشعوبية والدينية وكثير من هؤلاء يستدلون بنصوص قرآنية لنصرة توجهاتهم ويُضلون العامة والدهماء، وظهر ممن ينتسب إلى العلم من يحرف معاني الآيات القرآنية، لينصر سلطانه أو طائفته أو جماعته أو حزبه، ويفسق أو يضلل أو يكفر مخالفه، وأمثلة ذلك كثيرة.

وسيتم الاقتصار على بعض النماذج في التفسير المنحرف لبعض هذه الفرق، والذي كان له الأثر في زيادة تفريق الأمة وتشرذمها واقتتالها، وسيتم التركيز على أشد هذه الفرق تمزيقا لكلمة المسلمين.

أولا: أمثلة من تفسيرات الخوارج:

تكفيرهم لكل من قبل التحكيم في موقعة الجمل وذلك بسبب تأويلهم الفاسد لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤).

خروجهم على عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، قالوا: خرجت من بيتها والله يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

تكفير أغلبهم لأهل المعاصي عموما واستدلالهم بعدة آيات بناء على فهمهم المغلوط، ومن ذلك:

أنهم يرون أن الفاسق بسبب فسقه وإصراره عليه فهو آيس من روح الله، إذا فهو كافر، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ الله إِلاَّ القوم الكافرون﴾ (يوسف: ٨٧).

ويقولون أيضا: الفاسق لا يكون ممن ابيضت وجوههم فيلزم أن يكون ممن اسودت وجوههم، وعليه يجب أن يسمى كافرا؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ العذاب بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٦).

ويقولون عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (التغابن:٢): إن الله خلق البشر وقسمهم بين مؤمن وكافر، والفاسق ليس بمؤمن؛ إذا فهو كافر، وهكذا في كثير من الآيات المشابهة[١].

وبناء على هذا التكفير استحلوا دماء وأموال وأعراض مخالفيهم، وهكذا ساهمت هذه الأفكار والمعتقدات في تفرقة كلمة المسلمين؛ بل والإقتتال الشديد بينهم، ولو تمعن هؤلاء في الآيات السابقة ونظروا في سياق الآيات، وفي الآيات الأخرى في هذا الباب، والأحاديث الواردة لتبين لهم فساد معتقدهم ورأيهم، ولعادوا لرشدهم، ولساهموا في جمع كلمة الأمة، أو على الأقل لسلمت الأمة من شرورهم، لكن ما زالوا يساهمون في نخر جسد الأمة حتى أنهكت وصارت مضرب الأمثال في فرقت كلمتها وشتات شملها.

ثانيا: أمثلة من تفسيرات الشيعة

وعلى غرار ما فعلت الخوارج فعلت أكثر الشيعة لاسيما غلاتها —عدا الزيدية وبعض المنصفين فالزيدية أقرب إلى الاعتدال والإنصاف في كثير من الأمور– فقد قام غلاة الشيعة بتحريف معنى النص القرآني؛ بل حرفوا في القرآن، وادعوا أن القرآن الموجود بين يدي المسلمين الآن قد دخله التحريف والنقص، لينصروا مذهبهم ويضللوا مخالفيهم، فقاموا بتفريق الأمة إلى شيعة ونواصب،... واستخدموا ذريعة حبهم لآل البيت في تفريق المسلمين وقتلهم وسلب أموالهم وهتك أعراضهم.

ومن أمثلة تحريفهم للنص القرآني الذي ساهم في فرقة الأمة:

تكفير غلاتهم لمن خالفهم من المسلمين ولكثير من الصحابة، واتهامهم بالغدر والخيانة وأمثلة هذا كثير ومنها قول أحمد بن على الطبرسي في قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ (الانشقاق: ١٩)، أى لتسلكن سبيل مَن كان قبلكم من الأمم فى الغدر بالأوصياء بعد الأنبياء، ويقول في معنى قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ (البقرة: ١٨٩)، والبيوت هي بيوت العلماء، الذي استودعته الأنبياء، وأبوابها هم الأوصياء، فكل من عمل عمل خير فجرى على غير أيدي أهل الاصطفاء وسننهم

[١] وانظر: الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، ج٢ / ص ٢٢٦

وشـــرائعهم وعهودهم، مردود عليهم، غير مقبول منهم، وأهله بمحل كفر[١]، ومن هذا الانحراف الكثير والكثير عند الطبرســـي وغيره، من غلاة الشـــيعة، وهم بهذا التأويل المنحرف إنما يريدون إثبات خيانة وغدر وكفر من خالفهم ليستحلوا دمائهم وأموالهم وأعراضهم، ويشتتوا الأمة ويمزقوها، ومن راجع كتب تفاسـيرهم عند كلامهم عن الإمامة أثناء تفسـيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُـولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّـلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُـولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة:٥٥-٥٦).

وكلامهم عن عصـــمة أئمتهم، عند تفســـيرهم لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٣٣).

وكلامهم عن المهدي في تفسـيرهم لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّـلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة:٣).

وكلامهم عن التقية عند قوله عز وجل: ﴿ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَـاةً﴾ (آل عمران:٢٨)، وغيرها من الآيات الكثير. المتتبع لهذا كله يجد كيف شحنوا كتبهم بتأويلات فاسدة، وانحرافات مضلة، بغية نصـر مذهبهم، والتشـنيع على مخالفيهم وتضـليلهم وتكفيرهم، فكانوا سـهما في نحر الأمة يمزق أشلائها، ويفت في عضدها.

وهكذا نجد كل حزب بما لديهم فرحون، وكل طائفة تسعى لنصرة معتقدها – إلا من رحم الله – وكلهم يلوون النص القرآني، ويتعسـفون في معانيه، وما أحوجنا وأحوجهم للإنصـاف والعودة إلى جادة الصواب، وترك التعصب الذميم، وأخذ الحق ولو كان مرا، والتسامح والتغافر فيما يقبل الخلاف، والاتفاق على المبادئ والأساسيات، والإدارك أن الاختلاف والتشرذم يصيب الأمة بمقتل، واتخاذ من التاريخ عبرة، والسعي في لم شعث الأمة، لعل الله يخرجنا من التيه الذي دخلنا فيه.

ولا شـــك أن هذه الطرق المنحرفة تؤثر في فهم المســـلمين لكتاب ربهم، وكثرة الاختلافات المذمومة والانحرافات في تفســـير القرآن تؤدي إلى هدم الدين باعتبار القرآن الكريم هو المصـــدر الأول للمسـلمين، وحفظ الدين هو المقصـد الأول من مقاصـد الشـريعة الإسـلامية، كما أن هذه التفاسـير المنحرفة تؤدي إلى فهم خاطئ للأوامر القرآنية تتنافى مع مقصود الشارع، كما نلاحظ في واقعنا المعاصر

[١] انظر: الطبرسي،أحمد بن علي، **الاحتجاج**، ج١ / ص ٣٦٩

كثرة الاختلافات المذمومة وكان من الممكن أن تأتي كل النصـــوص في القرآن الكريم قطعية الدلالة ولكن جاءت بعدها ظنية الدلالة لفتح باب الاجتهاد لدى المتخصصين وليس من العوام أو الانحراف في الاجتهاد والذي يؤدي إلى عكس المقصود.

٥ – خاتمة

هكذا نخلص من دراســتنا هذه إلى أنّ ظهور هذه الطرق المنحرفة في التفســير فتحت على المســلمين باب فُرْقَة وفساد عظيم ما زالت آثاره باقية إلى يومنا الحاضر.

فالخوارج، والشيعة، والمعتزلة، والقُصَّاص، والصوفية، ومدَّعو التجديد، كلهم أخضعوا التفسير لميولهم الشخصية ومذاهبهم العقدية عن طريقة إدخال الموضوعات والإسرائيليات إلى التفسير، وتحريف النصـوص، وذلك ترويجاً لمذاهبهم وتمكيناً لبدعهم وأهوائهم، وانتصـارا لآرائهم وأهوائهم ومعتقداتهم، وقد رأينا أيضاً كيف أنّ هؤلاء كانوا لا يتحرّجون في ليّ عنق النصوص الصـريحة، القطعية الثبوت، والقطعية الدلالة لما يوافق مذاهبهم وأهواءهم. فمنهم من كان يحرص كل الحرص على الأخبار والقصـــص الغريبة لأجل اسـتهواء قلوب العوام ومن ليس له حظ وافر من العلم، ووضـع الأحاديث المكذوبة، وذلك كله لنصـــرة مذهب أو هوى، أو معتقد، أو تضـــليل مخالف، أو تكفيره، أو الحث على مقتلته، ومنهم من كان يحرص، على الطريق اللّغوية، وآخرون على مبدأ تهذيب الأرواح والنفوس، والحث على بغض الدنيا وتطليقها، لأجل استهواء أهل العجز والكسل والتواكل، ومنهم من كان يحرص على موافقة أعداء الإسلام في كل ما يقولونه عسى أن يرضوا عنه ويجزونه دراهم معدودة أجر ما عمل.

المصادر والمراجع:

REFERENCES:

Ibn Badis, A. (1995). *Fi Majālis al-Tadhkir min Kalām al-Hakim al-Khabir.* Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Bukhāri, M. I. (2002). *al-Jāmiʿ al-ṣaḥiḥ al-mukhtaṣar.* Taḥqiq: Muṣṭafā Dib al-baghā. BeirËt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

Al-Baghawi, M. S. (1420). *Maʿālimʿ Tanzīl Fi* Tafsīr al- Qur'*ān.* Taḥqiq: Abdulrazzak al-Mehdi. Beirūt: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabi.

Ibn Taymiyyah, A. (1991). *Q*ā'ida 'adhīmah Nāfi'ah fi al 'ibādāt wa al- farq bayna shar'iyyatiha wa bid'iyyatiha-. Riyād: Dār al-'ālamiyyah lilketāb al-Islāmī.

Al-Jīlāni, M. (2006). *Al-ḥadāthyyūn al-*'arab fīl-'uq*ūdi- thal*āthatil-akhīrah wal-Qur'ān al- karīm. Dimashk: Dārul- nahdah.

Al-Khāzin, M. (2004). *Lub*āb ta'wīl fi ma'āni tanzīl. BeirËt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah..

A-dhahabi, M. (1986). *Al-itj*āhāt al-munharifah fi tafsīr al-Qur'ān al-karīm dwāfi'uhā wa daf'uhā. Wahba, 3rd ed.

A-dhahabi, M. (2005). *A-Tafs*īr wa mufassirËn. awnd.

A-Zamakhshari, J. (1972). *Al-kashsh*āf 'an haqā'q a-tanzīl wa 'uyËn 'aqāwīl fi wujËh a-ta'wīl. Egypt: Mustafa.

A-Sulami, A. (2001). Haqā'q *Tafs*īr. Taḥqiq: Sayyid 'umrān. Beirūt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah.

A-SuyūÏi, J. (1976). Ïabaqāt mufassirīn. Taḥqiq: Ali 'umar. Wahba.

A-Sulami, A. (2001). Haqā'q *Tafs*īr. Taḥqiq: Sayyid 'umrān. BeirËt: Dār al-Kutub al-'Ilmiyyah..

A-Ïālbi, A. (1968). Ben Bādīs Íayātuhu wa 'thāruhu. Beirūt: Dār al-gharb al-'Islāmī.

MahfūÐ, M. (1982). Tarāum al-Mu'allifīn tūnusyyīn. Beirūt: Dār al-gharb al-'Islāmī.

A-Ïabari, M. (2000). Jāmi' al-bayān fi ta'wīl al-qur'an. Taḥqiq: Ahmad Shākir. Beirūt: a-risālah.

A-Ïūsī, A. a-tibyān fi *Tafs*īr al-qur'an. Beirūt: Dār Iḥyāʾ al-Turāth al-ʿArabi.

Ibn 'āshūr, M. (1984). A-taÍrīr wat-tanwīr. Tūnes: Dār Tūnusiyyah.

Al-Kulaynī, A. ’uÎ ūl al-kāfi. Irān: Manshūrāt ‘ilmiyyah.

Kamal, Y. (1990). Al-‘aÎriyyūn Mu’tazilatul Yawm. ManÎūrāh: Dār al-wafā, 2nd ed.